قراءة في كتاب الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه- للدكتور بكري عبد الكريم.

Reading in the book "Time in the Qur'an" semantic study of the actions mentioned in it" by Dr. Bakri Abdel-Karim.

أ.د سعد الله زهرة [1]

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)

saadallahchahra@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/02/22 تاريخ القبول: 2019/03/03 تاريخ النشر: 2020/07/09

ملخص: يعد كتاب الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه لصاحبه الدكتور بكري عبد الكريم أهم كتاب خصص لدراسة الزمن في القرآن الكريم ، حيث تمكن المؤلف من الإحاطة بالتلوينات الزمنية للأفعال الواردة في الخطاب القرآني والتي اصطبغت بدلالات زمنية أخرى غير التي صيغت لأجلها فرضها السياق، مما يؤكد على أن القرآن الكريم خطاب صالح لكل زمان، وهو الأمر الذي دفعنا إلى تصفح هذا المؤلف وقراءته محاولين الوقوف عند أهم النقاط التي تعرض لها الدكتور بكري بالدراسة والتحليل من خلال النماذج التي استقاها من آي الذكر الحكيم وصولا إلى النتائج المهمة التي توصل إليها المؤلف من خلال هذه الدراسة الدقيقة لموضوع الزمن في القرآن الكريم.

كلمات مفتاحية: الزمن النحوي، الزمن السياقي، الفعل، القرآن الكريم، الدلالة، السياق .

Abstract: The book "Time in the Holy Qur'an is a semantic study of the verbs contained in it by its owner Dr. Bakri Abdel-Karim, the most important book devoted to the study of time in the Holy Qur'an. It confirms that the Holy Qur'an is a valid speech for all times, which is what prompted us to browse this author and his reading, trying to stop at the most important points that Dr. Bakri was exposed to study and analysis through the forms he drew from any of the wise dhikr, to the important results that reach The author has done this through a careful study of the topic of time in the Holy Quran.

keywords; Grammar time, contextual time, verb, Quran, significance, context**.**

[1] المؤلف المرسل : أ.د سعد الله زهرة

تمهيد:

يعد الحديث عن الزمن إشكالية كبرى يتمحور حولها الكون بكامله، والإنسان نفسه ماض وحاضر وترقب لمستقبل مجهول؛ لذلك فكتابات البشر كيفما كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بأحداث وقعت في حقب زمنية معينة؛ إما مضت من حياتهم أو يعيشونها في حاضرهم أو يتوقعون حدوثها في مستقبلهم، غير أننا حين نصادف خطابا ربانيا يجمع كل هذه الحقب الزمنية في نسيج يعجز البشر، وبصيغ فعلية وغير فعلية وضعها علماء العرب، واتفقوا حولها؛ فقالوا: "فعل" للماضي، و"يفعل" للمضارع، و"افعل" للأمر وهلم جر، نقف مذهولين ونحن نتصفح القرآن الكريم، أين نجد المضارع ماضيا والحاضر مستقبلا والماضي صالح لكل الأزمنة.....، بل إننا نلحظ فارقا كبيرا في القيمة الزمنية بين فعل وآخر لهما الصيغة نفسها، وهذا هو الإعجاز بعينه.

ولم نجد، فيما نعتقد، من خصص مؤلفا يتحدث فيه عن الزمن في القرآن الكريم إلا إشارات فرضتها الدراسة وجدناها مبثوثة في كتب المفسرين واللغويين والفلاسفة وغيرهم، وقليل من المحدثين من خصص مؤلفا في دراسة أزمنة الأفعال في اللغة؛ أمثال الدكتور إبراهيم السامرائي وكتابه الفعل وأزمنته وأبنيته(1980)، والدكتور كمال إبراهيم بدري كتابه الزمن في النحو العربي(1984)، و الدكتور يوسف المطلبي كتابه الزمن واللغة (1986)، والدكتور عبد الله بوخلخال وكتابه التعبير الزمني عند النحاة العرب(1987)...

ولقد كان لنا عظيم الشرف أن نجالس ونستفيد ونتعلم الكثير من عالم وباحث جزائري من جامعة وهران، تخرج على يديه الكثير من الإطارات والباحثين سواء من داخل الوطن أو خارجه، أستاذ وباحث في كلية الآداب والفنون منذ السبعينات، تقلد عدة مناصب في جامعة وهران؛ من رئيس قسم اللغة العربية إلى عميد كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، وعضو المجلس الأعلى للغة العربية، وخارج الوطن شغل منصب مدير معهد تكوين الأئمة بمسجد باريس، وعضو بالأكاديمية الثقافية ببيروت، لديه ما يقارب 25 مقالا، نشرت في مجلات وطنية وعربية وحتى غربية، شارك في 10 ملتقيات دولية ولديه 6 كتب، كما أنه شارك مع بعض الباحثين في ترجمة القرآن الكريم، أشرف على العشرات من الرسائل ماجستير ودكتوراه، هو الباحث والبروفيسور بكري عبد الكريم صاحب كتاب ""**الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه**".

وهو كتاب في غاية الأهمية، عكس بحق الاهتمام الكبير الذي أولاه هذا الباحث للخطاب القرآني خاصة وللدراسات النحوية عامة؛ وعلى الرغم من أن البحث في الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم صعبة تتطلب من المقدم على مثل هذه الدراسات الصبر والإحاطة الشاملة بالدراسات السابقة، كما يقول الدكتور بكري في مقدمة كتابه" ...وبقدر ما كان حماسي كبيرا لإنجاز بحث في الموضوع، بقدر ما كنت أجد من يثنيني عن هذا العزم، تهيبا من صعوبة الموضوع وإشفاقا عليَّ من المخاطر والمزالق المحدقة بموضوع في مثل هذا العمق والجدة."[1]، ثم يضيف " والحقيقة أن مهمتي لم تكن سهلة، بل كانت مهمة شاقة عسيرة تتطلب كثيرا من الصبر والدرس، والاطلاع، فالموضوع جديد غير مطروق فيما نعلم...."[2]، كل هذا لم يمنع الباحث من أن يتجشم عناء البحث في زمن الأفعال الواردة في القرآن الكريم، ويتتبع عن كثب دلالاتها التي تضفيها على السياق، هذا العمل الجاد الذي كان ثمرة اجتهاد سنوات كلّل بحصول المؤلف على شهادة دكتوراه دولة في علوم اللغة تحت إشراف الدكتور رمضان عبد التواب سنة 1990 .

وفي سنة 1997 وفقه الله في تنقيح الرسالة وطبعها بدار الفجر للنشر والتوزيع الهرم-مصر، في كتاب متوسط الحجم عدد صفحاته 362 صفحة شمل أربعة أبواب وكل باب شمل ثلاثة فصول، وأعاد نشره بطبعة جديدة سنة 2001 بدار الكتاب الحديث مضيفا فصلا يتحدث فيه عن الأفعال والأزمنة في القصة القرآنية، وكانت الغاية من وراء هذه الدراسة هو الوصول إلى الدلالة التي تضفيها أزمنة الأفعال على السياق القرآني سواء ذكر الفعل مجردا أم مركبا معتمدا في ذلك على جملة من المصادر حددها في كتب المفسرين وكتب علماء الأصول وكتب اللغويين القدماء منهم والمحدثين؛ مراعيا الأمور التالية:[3]

1. الاعتماد على النص القرآني لمعرفة السياق الذي يرتبط به الفعل.

2- الاعتماد على كتب التفسير لفهم مدلول الفعل الزمني من خلال فهم المعنى العام للنص.

3- دراسة الصيغ الفعلية والأدوات الداخلة عليها لما لها من آثار في التعبير عن الزمن.

4- الإفادة من التراث النحوي القديم ومن النظريات اللغوية الحديثة عند دراسة الجانب الزمني للفعل.

أما منهجه فقد كان إحصائيا استقرائيا واصفا ومحللا للأفعال الواردة في القرآن الكريم، ليخرج في الأخير بنتائج هامة أثرت المكتبة العربية، ولقد حالفنا الحظ منذ تحضيرنا لرسالة الماجستير التي تناولنا فيها دلالة الأفعال في سورة البقرة إلى غاية تحضيرنا لرسالة الدكتوراه التي جمعنا فيها الجوانب اللسانية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، أن نستأنس بما جاء في طيات هذا الكتاب القيم والاستفادة منه .

وهو ما دفعنا اليوم إلى أن نسلط الضوء على أفكاره التي طرحها في هذا المؤلف، ونقف على مجموع النتائج التي توصل إليها من خلال تحليله أزمنة الأفعال مفردة ومركبة ضمن سياقات مختلفة في كتاب الله.

مصادر الدراسة:

جمع في هذا الباب مختلف المصادر التي اعتمد عليها لاستيفاء المادة العلمية المطلوبة؛ خاصة إذا كان الخطاب المستهدف هو الخطاب القرآني المعجز بلغته المتعالي عن الزمان والمكان، لهذا السبب قسم هذه المصادر في ثلاث فصول إلى: كتب التفسير، وكتب أصول الفقه، وأخيرا كتب النحو.

1 - كتب التفسير:

تعرض فيه الباحث إلى النحو وعلاقته بكتب التفسير، وهنا كان لابد من الباحث أن يتعرض ولو بإيجاز إلى مناهج المفسرين في التعامل مع الخطاب القرآني، ليقف عند التفسير اللغوي الذي يعد أقرب إلى علوم اللغة باعتبارها الآليات المعتمدة في تحليل الخطاب القرآني، وكان أهم هذه التفاسير تفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان النحوي، وغيرهم ممن استفاد من المناهج الأخرى، وأقصد بذلك منهج التفسير بالأثر ومنهج التفسير بالرأي، وتكاد تكون خصائص المنهج اللغوي واحدة في تحليل العلماء للخطاب القرآني تعرض لها العلماء أمثال أبي حيان والزمخشري في مقدمة التفسير[4]، **وبعدها** مباشرة تعرض المؤلف إلى تحديد المفسرين لزمن الفعل مجردا من الأدوات بادئا بدلالة " فعل" على الماضي من خلال مجموعة من النصوص القرآنية، كقوله تعالى ﴿ وإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة/60، مستشهدا بقول كل من أبي حيان والزمخشري؛ فأبو حيان مثلا يفسر الآية بقوله:".....ويفهم من الآية أن الانفجار قد وقع وتحقق لذلك قد علم كل أناس مشربهم"[5]، معتمدين في ذلك لا على الصيغة فقط وإنما على السياق الذي وردت فيه، ولقد أكد المؤلف في كثير من

الأمثلة التي ساقها والتي لا يمكننا الإلمام بها في هذه العجالة، أن المفسرين يلجأون دائما إلى السياق في تحديد الزمن، كتخريج أبي حيان قوله تعالى﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة/34؛ حيث يجعل "تابوا" فعلا أريد به الاستقبال [6]؛ إذ يبدو أنه اعتمد في هذا الرأي على الآية التي قبلها وهي قوله تعالى﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة/33 ؛إذ جعل زمن "تابوا"ينحصر في المستقبل.

والأمثلة كثيرة أين ذكرت صيغة "فعل" الماضية للدلالة على المستقبل وهذا تعبير بلاغي انفرد به الخطاب القرآني، كقوله تعالى﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ النمل /87** ، يرى أبو حيان أن "فزع" تشير إلى وقوع الفعل يوم القيامة ولكن جيء بها ماضية لتأكيد صحة وقوع الفعل [7]، ومثله أيضا قوله تعالى﴿ **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ هود/98**، ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن صيغة فعل مسبوقة بالقرائن بادئا بقد، وبإذ، وكان، وإذا، وإن.....

<u>يفعل مجردة من الأدوات:</u> لقد أكد المؤلف فيما ذهب إليه في حديثه عن صيغة "يفعل" أن تخريجات المفسرين لهذه الصيغة في أكثر من موقع في آي الذكر الحكيم يفند أقوال النحاة في حصر هذه الصيغة للدلالة على الحال والمستقبل؛ حيث أن القرآن الكريم تعامل مع هذه الصيغة في سياقات مختلفة أريد بها الماضي والحاضر والمستقبل القريب والبعيد، وقد وقف الدكتور بكري عند أمثلة كثيرة من القرآن الكريم يحْتكم فيها المفسرون إلى السياق لتفسير دلالة الصيغة على الزمن مثل قوله تعالى﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ حج/63** يقول الزمخشري" إن قلت هلا قيل، فأصبحت، ولم صرف إلى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول: أنعم علي فلان عام كذا، فأروح، وأغدو شاكرا له، ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع "[8] ،ومن ذلك " تجهلون" في قوله تعالى﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف/138**؛ حيث يجعل أبو حيان زمن هذا الفعل عاما لا ينصرف إلى زمن خاص لأن ذلك كالطبع والغريزة فيهم ولا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل [9].

ومن ثم ينتقل المؤلف إلى تناول صيغة "يفعل" مسبوقة ببعض الأدوات ، ويدرس دلالتها على الزمن من خلال تخريجات المفسرين، وينهي الفصل بصيغة "افعل" الدالة على الأمر والطلب، وهي صيغة لفعل لم يقع، ولم يحدث من قبل، وقد تدل على استمرار فعل قد وقع من قبل، معنى ذلك كما يوضح المؤلف أن الصيغة تدل على الزمن المنطلق من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر في مثل قوله تعالى ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ **البقرة/187**، يقول أبو حيان أنها أفعال إباحة لأشياء كانت محرمة عليهم [10].

2 - كتب الأصول:

خصه المؤلف لكتب أصول الفقه ومناهج الأصوليين في استنباط الأحكام الشرعية مستأنسين بعلوم اللغة، مهد له بتأكيد العلاقة الرابطة بين علوم اللغة وأصول الفقه؛ مما أورده العلماء أمثال السيوطي والزبيدي والزمخشري.....، ويوضح الدكتور بكري تعامل الأصوليين مع علوم اللغة مقارنة بمنهج النحاة يقول" ..إن دراستهم للغة كانت دراسة وظيفية تطبيقية، تنظر إلى اللغة وهي تحيا في عالم النص فتعطي الاعتبار الأول للمعنى الذي يؤديه كل عنصر من عناصر الكلمة، وبذلك يمكن التفريق بين المنهج الذي أسسته المدارس النحوية، والمنهج اللغوي للفقهاء، إن الأول قواعد تنظيرية يراد لها الاطراد، والشمول لاستيعاب التراث اللغوي، والثاني نظرة تطبيقية لهذه القواعد مع جعل فهمهم لروح النص، ومدلولاته في المقام الأول" [11].

أما الفعل فالغالب عند الأصوليين أنه كلمة تنبئ عن حركة المسمى فقط، ولا علاقة لها بالزمن، واختلفوا في المسمى إما أن يكون هو الفاعل أو يكون الحدث نفسه، فمادة "قام" لا تدل إلا على معنى القيام مجردا من أي نسبة زمنية [12]، أما الصيغة فهي معنى حرفي لا تدل إلا على نسبة المادة إلى الفاعل، فقولك مثلا (عَلمَ الله) و(عَلمَ زيد) جملتان صحيحتان، غير أن الأولى ليست مرتبطة بزمن لنسبتها لذاته تعالى، والثانية دالة على الزمن الماضي؛ معنى ذلك أن الأصوليين يعتمدون على السياق لمعرفة الزمن، ولإيضاح هذا الأمر تتبع المؤلف آراء الأصوليين في ورود صيغة "فعل" و"يفعل" و"افعل" مجردة في القرآن الكريم.

يقول ابن القيم في تفسيره لقوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾ **التوبة/ 122** بقوله أن الفعل نفر في الآية للماضي كونها أي الآية نزلت في غزوة تبوك في سياق ذمّ المتخلفين عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ينتهي إلى أن نفر في الآية ماض وإنما يفهم منه الاستقبال لأن التخصيص يؤذن به وهو ما ذهب إليه النحاة من أن لولا تصرف الفعل الماضي للمستقبل[13]، غير أن ابن القيم لا يحتكم للفعل ودلالته وإنما يحتكم للسياق فقط مثل قوله تعالى﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ **البقرة/149**، يقول ابن القيم أن خرجت جاءت للدلالة على الاستقبال ليس لكونها بعد حيث كما ذهب ابن مالك من معنى الشرط ولهذا لو تجرد من الشرط لم يكن إلا للمضي كقوله (اذهب حيث ذهب فلان)، وقد استخلص الدكتور بكري من تخريجات ابن القيم أن السياق هو الفاصل في معرفة زمن الفعل، وكذا صيغة المضارع جرى تخريجها على الطريقة ذاتها بالاعتماد على السياق لا على الفعل، من مثل قوله تعالى﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾ **يوسف /13**، يقول النحاة بأن لام الابتداء تصير الفعل للحال غير أن الأمر ليس كذلك هنا فذهابهم يقع في المستقبل وهو فاعل الحزن فيمتنع أن يكون الفاعل مستقبلا والفعل حالا [14].

ويعرف علماء الأصول فعل الأمر بأنه الفعل الذي يشترط فيه إرادات ثلاثة : إرادة إحداث الصيغة ، وإرادة الدلالة بها على الأثر، وإرادة الامتثال [15]؛ فالحدث غير مصاحب للفعل؛ إذ نجد أن هناك فاصلا زمنيا ومعنويا بين أداة الطلب التي هي فعل الأمر، وحدوث الفعل على وجه الحقيقة، لهذا السبب يرى المؤلف بأن الأصوليين قد ابتعدوا بهذه الآراء عن طبيعة اللغة وضيقوا بمقولاتهم المنطقية من مجالات استعمالاتها [16]، أما البعض منهم اختار الاعتدال في الرأي ومن ذلك قول الآمدي في قوله تعالى﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**

وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ التوبة/5 "يعم كل مشرك، فقوله "صل" و"صم" ينبغي أن يعم جميع الأزمنة لأن نسبة اللفظ إلى الأزمان كنسبته إلى الأشخاص....."[17].

ويضيف المؤلف أن هناك فروقا نسبية بين أزمنة فعل الأمر بحسب السياق الذي يرد فيه، فقولك :"استقم" يوحي بزمن غير الزمن الذي يقول فيه الضابط للجندي "استعد"، لذلك جاء تطبيق زمن الفعل على المسائل الفقهية مخالفا تماما لما رأيناه عند النحاة،؛ حيث انطلقوا من النصوص كما سبق وأن أشار صاحب الكتاب، يعرضونها بدلالتها وملابساتها على القاعدة النحوية لتكون أداتهم في التفسير وشرح مقاصد المتكلم، باعتبار أن الألفاظ أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، ومن هنا جاءت آراؤهم النحوية منتزعة من مواقف وحالات تقتضي من المشرع أن يفصل فيها في ضوء الكلام المنطوق الصادر من المتكلم [18].

وهكذا تتبع المؤلف تطبيقات الأصوليين لزمن الفعل المضارع الدال على الحال والاستقبال، وختم الفصل بتخريجاتهم لزمن "كان" الدالة على الماضي المتصل والماضي المنقطع، ولكنها في الخطاب القرآني تدل على استمرار مضمون الخبر في جميع زمن الماضي، والحاضر والاستقبال، وذلك في نحو قوله تعالى﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ **النساء/134**، وكل هذا يؤكد ما ذهب إليه الدكتور بكري من أن النظرات النحوية للأصوليين وجهت النحو وجهة جديدة تقوم على أساس الانطلاق من النص ليمارس فيه النحو وظيفته.

3 - كتب النحو:

وختم المؤلف الباب الأول بفصل خصه لكتب النحو ؛ لذلك كان لابد من الإشارة إلى البدايات الأولى لنشأة النحو رابطا إياها بالقرآن الكريم ثم تعرض إلى دلالة صيغة "فعل" على الماضي ثم على الحاضر ثم على المستقبل ، موردا آراء النحاة على رأسهم سيبويه وابن الحاجب وابن يعيش والمبرد وغيرهم، كما تعرض للصيغة عندما تدل على المضي والاستقبال إذا سبقت بهمزة التسوية كقوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** البقرة/6، بعد كلما كما جاء في قوله تعالى ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾** البقرة /25 يجوز فيها المضي والاستقبال، بعد حيث لقوله تعالى﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ۖ﴾ البقرة /149 جاءت للمضي، وجاءت أيضا لتقريب الماضي من الحال إذا سبقت بقد مثل قوله تعالى﴿ **وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾** البقرة /246، واستمر حديثه عن صيغة "فعل" مع ما النافية للماضي، وكان ، وإن كان، بعدها انتقل إلى صيغة يفعل الدالة على الماضي والدالة على الحاضر والدالة على المستقبل مجردة ومقترنة.

ولم تخل هذه الدراسة المجملة من وقوف المؤلف عند دلالة الأفعال الناقصة، لينتقل بعدها إلى صيغة الأمر فتعرض لأصل الصيغة عند البصريين والكوفيين، ثم زمنها، لينتهي إلى ما انتهى إليه المفسرون والأصوليون من أن زمن فعل الأمر يحدده السياق والقرائن الزمنية التي تصحبه شأنه شأن الصيغ الأخرى ألم يقولوا بأنه قسيم الفعل المضارع، أو هو الفعل المضارع منقوصا منه لام الأمر،كما يرى الكوفيون.

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المجردة:

قسمه المؤلف إلى ثلاث فصول: فصل في الصيغة الزمنية لـ"فعل"، وفصل في الصيغة الزمنية لـ"يفعل"، وفصل في الصيغة الزمنية لـ"افعل"، يقول سيبويه" ... بنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع" [19].

4- الصيغة الزمنية لـ"فعل":

تناول فيه صيغة "فعل" في القرآن الكريم مرة دالة على الماضي ومرة دالة على الحاضر أو القريب من الحاضر، ومرة دالة على الاستقبال، وفي الأخير صيغة فعل دالة على الزمن العام.

"فعل" دالة على الماضي: غير أنها تتلون بألوان زمنية عديدة، وذلك عندما تدرج في السياق، أو تقرن بأدوات الجزم والنصب والشرط وغيرها، يقول ابن الحاجب" الفعل الماضي ما دل على زمان قبل زمانك" [20] ،أو هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك [21]، ويذهب المؤلف إلى أن صيغة "فعل" في القرآن الكريم جيء بها للتعبير عن سرد أخبار الأولين من مثل قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ البقرة/34 " الماضي هنا بعيد في زمن سحيق"[22] ، وغيرها من الأمثلة الكثيرة التي حاول المؤلف ألا يكتفي عندها بالحصر أو الإحصاء أو الذكر دون تعليل مجيء الفعل الماضي، وهل هو ماض بعيد أو ماض قريب من الحاضر، وهذا كله يتوقف على السياق الذي وردت فيه الصيغة.

"فعل" دالة على الحاضر: تأتي "فعَلَ" للدلالة على الحاضر إذا سبقت بظرف الدال على الحين من مثل: الآن، اليوم....وغيرها يقول تعالى﴿**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا**﴾ الأنفال/66 ، يقول أبو حيان أن التخفيف في حال شق فيه على الصحابة ثبات الواحد للعشرة فخففت إلى ثبات الواحد للاثنين [23]؛ حيث أن هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ الأنفال/65، لذلك يقول المؤلف إن الفعل خفف دل على الحاضر من جهتين: من جهة السياق العام، ومن جهة الظرف [24]، بخلاف ما أقره البصريون من أن فعل لا تدل على الحال.

"فعل" دالة على المستقبل: لقد ذهب الدكتور بكري إلى القول بأن صيغة"فعل" في القرآن الكريم تدل في مواضع كثيرة على الاستقبال والمراد بها تنزيل حوادث المستقبل حوادث الماضي التي وقعت وأصبحت حوادث واقعة [25] كما جاء في قوله تعالى﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**﴾ الإنسان/11، حيث انتقل الفعلان "وقى" و"لقى" إلى الاستقبال، وهذا بفضل قرينة لفظية هي اليوم التي ذكرت في الآية السابقة قوله تعالى﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ الإنسان/10، ومن ذلك أيضا قوله تعالى﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ**﴾ الأعراف/44، وغيرها من المواضع التي دل فيها الماضي على المستقبل.

"فعل" دالة على الزمن العام: الملاحظ على هذه الصيغة أيضا دلالتها في القرآن على الماضي والحاضر والمستقبل القريب والبعيد؛ يعني زمن عام متجدد من مثل قوله تعالى ﴿**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ** ﴾ الفتح/29؛ فالأفعال في الآية الكريمة لا تدل على زمن معين، وإنما هي تدل على حدث يمكن أن يقع في كل وقت فهي ظواهر طبيعية ما فتئت تتكرر وتتجدد، ولا يمكن أن تتخلف، ولقد جاءت هذه الأفعال في سياق تشبيه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بهذا الزرع الذي من خصائصه أنه أخرج شطأه [26]، يقول

الزمخشري" وهذا مثال ضربه الله لبدء أمر الإسلام، وترقيه في الزيادة، إلى أن قوى واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بها مما يتولد منها حتى الزارع" [27].

وختم المؤلف الفصل بدراسة إحصائية لبعض الأفعال في القرآن الكريم الواردة بصيغة "فعل" مبينا دلالتها الزمنية، لينتهي بنتيجة مفادها أن الغالب على الصيغة ما اتفق حوله جمهور النحاة من أنها دالة على الماضي.

5 - الصيغة الزمنية لـ"يفعل":

خصه لصيغة "يفعل" دالة على الماضي وعلى الحاضر وعلى المستقبل، وعلى الزمن العام.

دلالة "يفعل" على الماضي: يرى المؤلف أن صيغة "يفعل" تعبر عن الماضي في حالات محددة وهي إما أن تكون معطوفة على فعل ماض لفظا ومعنى مثل قوله تعالى﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ الحج/63، أو تأتي بعد فعل ماض لفظا ومعنى كقوله تعالى ﴿ **وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ**﴾ القصص/20. أو أن تأتي حالا لفاعل فعل ماض لفظا ومعنى من مثل قوله تعالى﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ** ﴾ مريم/ 27، كما أن هذه الصيغة قد تدل على الماضي بقرينة لفظية، والأمثلة كثيرة ساق بعضا منها الدكتور بكري وأردفها بآراء المفسرين؛ يقول تعالى ﴿ **فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ البقرة/91، يذهب أبو حيان وهو يشرح هذه الآية إلى القول بأن "يقتلون" جاءت بصورة المضارع والمراد الماضي، إذ المعنى"فلم قتلتم " والدليل على تقدم القتل فيما يرى أبو حيان هو من قبل [28] .

دلالة "يفعل" على الحاضر: جاءت "يفعل" في القرآن دالة على الحاضر بقرينة﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ** ﴾ يوسف/36، وقوله﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ الأحزاب/23.

دلالة "يفعل" على الأزمنة العامة: يرى المؤلف أن صيغة "يفعل" جاءت في بعض المواضع في القرآن الكريم دالة على الماضي والحاضر والمستقبل أي الزمن العام ومن أمثلة ذلك قوله تعالى﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ الأعراف/138، يقول أبو حيان "وأتى بلفظ "تجهلون" ولم يقل (جهلتم) إشعارا بأن ذلك منهم كالطبع و الغريزة ولا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل" [29] .

دلالة "يفعل "على المستقبل: تنصرف الصيغة إلى المستقبل بقرينة في القرآن الكريم، قد أشار إليها المفسرون في أثناء تفسيرهم للآيات القرآنية كأن تأتي فاعلا ليفعل مصدرا مؤولا من أن ويفعل كقوله تعالى﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ** ﴾ يوسف/13.

وفي الدراسة الإحصائية للصيغة في بعض سور القرآن الكريم استنتج المؤلف أن الغالب على الصيغة في الاستعمال هو دلالتها على الحاضر والمستقبل لا على الماضي كما ذهب إلى ذلك جمهور النحاة.

6 - الصيغة الزمنية لـ"افعل":

تناول فيه المؤلف صيغة "افعل"وزمنها في القرآن الكريم، فتعرض لـ"افعل" دالة على الاستقبال من مثل قوله تعالى﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ الأنبياء/69؛ فالفعل (كوني) في الآية يدل على الزمن القريب الذي يكاد يتصل بالحاضر[30]، وكذلك قوله﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾ العلق/01 إذ يستفاد من سياق الآية أن اقرأ أمر بالشروع فورا في القراءة [31] . ثم عرض لـ"افعل" دالة على مواصلة الحدث واستمراره كقوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الأحزاب/01، قال الزمخشري" واضب على ما أنت عليه من التقوى وازدد منه . ثم قال: وذلك لأن باب التقوى باب لا يبلغ آخره [32]. وفي الأخير يلتفت المؤلف إلى مواضع من القرآن الكريم وردت فيه "افعل" غير دالة على زمن محدد؛ كأن تأتي جوابا للشرط والأمثلة كثيرة في سورة النساء قوله تعالى ﴿**فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ** ۖ﴾ /06، ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ 86، وقد اتبع المؤلف الطريقة ذاتها في تحليله للصيغة مفندا قول من ذهب إلى تجريد الصيغة من الزمن لعدم تلبس فعل الأمر بالفاعل وهو قول الأصوليين، أما ما استنتجه من إحصاء صيغة "افعل" في بعض سور القرآن الكريم هو دلالتها على المستقبل القريب أو الزمن العام، وتأتي دالة على الماضي في السياق القصصي [33] ، وختم هذا الباب بجدولين حاول من خلالهما رصد ورود بعض الأفعال في القرآن الكريم ودلالتها الزمنية.

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع النواسخ:

أفرد فيه الحديث عن الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع النواسخ، وقسمه إلى ثلاثة فصول:

1- الصيغة الزمنية لـ" كان+فعل، كان+ يفعل":

استطاع المؤلف في هذا الفصل الإحاطة بالدلالة الزمنية للصيغ"كان فعل"، "كان يفعل"، "إن كان يفعل"، "من كان يفعل " يقول تعالى﴿**وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ الأحزاب/15 يذهب المؤلف مستندا لما جاء به صاحب الكشاف في تفسيره للآية إلى أن موقع التركيب في السياق الذي جاءت فيه الآية يوضح طبيعة الزمن الذي تدل عليه؛ إذ هو يتكون من:- كان- الدالة على ماض أبعد من زمن الاستئذان الذي كان يوم غزوة الخندق في قوله تعالى﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ ﴾ الأحزاب/13 وهو زمن مضى والثاني زمن بعيد هو الزمن الذي عاهدوا فيه يوم غزوة أحد ألا يفروا بعدما نزل فيهم ما نزل [34] . وقوله أيضا﴿ **إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ** ﴾ يونس/71؛ فالدلالة الزمنية لهذا التركيب هي الماضي البعيد لأن المعنى هو احتمال أن يكون قد وقر في أنفسهم هذا الأمر (بأن كبر عليهم مقامه) قبل مخاطبة سيدنا نوح عليه السلام إياهم، لأن معنى كبر مقامي" طول مقامي فيكم" [35] ، أما قوله في صيغة" كان يفعل" فإن المؤلف يرى بأن الحكم الذي ذهب إليه جمهور النحاة والمتمثل في دلالة الصيغة على الاستمرار في الماضي يطرد في كثير من النماذج القرآنية، ولكنه لا ينسحب على كثير من الحالات التي أبعد فيها السياق دلالتها عن الزمن الماضي ليقبلها في مراحل زمنية مختلفة [36]، ثم ينتقل الدكتور بكري إلى صيغة " إن كان يفعل" حيث عرض نماذج كثيرة تأكد من خلالها أن لكل تركيب موقعه الزمني الخاص، وقد تأتي هذه الصيغة للدلالة على حدث يمكن وقوعه في أي وقت [37] ، كقوله تعالى﴿ **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ البقرة/228، يقول المؤلف معتدا على ما جاء في البحر المحيط والكشاف" أن التركيب "إن كن يؤمن" لا يختص بزمن معين، بل إنه يشمل جميع الأزمنة، إذ

المعنى: أن كل من اتصف بالإيمان في أي زمان وفي أي مكان لا يقدم على ارتكاب مالا يحل له [38] ، وقد تدل على المستقبل فقط ، أو الماضي فقط، أما صيغة "من كان يفعل" فقد تعبر أيضا على الزمن العام، أو تنحصر في الزمن الماضي مثل ما هو الحال بالنسبة لصيغة " لو كان يفعل"، غير أن المؤلف وجد أن صيغة "ما كان يفعل" التي يرى النحاة أنها تدل على المستقبل قد تعبر على الزمن العام في مثل قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ الأنفال/ 33؛ فالسياق الذي جاء فيه التركيب لا يدل على المستقبل، وإنما هو يشير إلى زمن غير محدد، أو بالأحرى هو يسري من الزمن الماضي وينطلق إلى زمن غير استقبالي يتعلق تحديده بظرف زمني آخر [39] .

ولم يكتف المؤلف بهذا القدر من الصيغ الفعلية المسبوقة بكان وفي أساليب مختلفة ليحدد دلالتها الزمنية في السياق القرآني، انتقل إلى صيغة "كان يفعل "دالة على الماضي المستقبل من مثل قوله تعالى ﴿ **قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾ المدثر/ 43-46،حين جاء التركيبان "كنا نخوض" و" كنا نكذب" على المستقبل لأن السياق الذي وقع فيه يدل على زمن بعيد هو زمن الدار الآخرة والفعل قالوا الذي تصدر الآية الأولى قد صرف المعنى الزمني إلى المستقبل على نحو ما هو مطرد في الأسلوب القرآني [40] . ويختم الدكتور بكري هذا الفصل بصيغة " يكون يفعل" التي ذكرت سبع مرات حسب الإحصاء الذي قام به وجاءت مسبوقة بلم أو إن، وفي الغالب دلت على عموم الزمن، وكعادة المؤلف لا يغادر الفصل دون أن يقوم بإحصاء هذه الصيغ السالفة الذكر ليقف على نسبة ورودها في القرآن الكريم وتنوع معانيها، وقد آثر تخصيص فصل بكامله للحديث عن "كان" لكونها كما يقول المؤلف أم النواسخ وكذلك لكثرة ورودها فقد ذكرت في القرآن 1300مرة.

2- الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع باقي النواسخ:

تعرض المؤلف للمجموعة الأولى أصبح، أضحى، أمسى وبات، ولم يذكر من هذه الصيغ في القرآن الكريم إلا أصبح مع صيغة "يفعل"، والمعروف عن أصبح أنها فعل ماض ناقص تفيد مع معمولها حدوث الخبر في فترة الصباح؛ غير أنها جاءت بمعنى صار في السياق القرآني من مثل قوله تعالى﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا** ﴾ الكهف/42، أي تحول من حالة النجاة إلى حالة الهلاك لأن (أحيط به عبارة عن إهلاكه، وأصله من أحاط به العدو....ومنه قوله تعالى(إلا أن يحاط بكم)[41] ، ثم انتقل إلى المجموعة الثانية التي تفيد الاستمرار وهي ظل، مازال، ماانفك، ما فتئ، ما برح، ما دام، ولقد ورد منها فقط "ظل يفعل" و"فتئ يفعل" أما "مازال" فذكرت مضارعة ومنفية مع المضارع، ولقد جاءت جميعها كما أسلفنا الذكر تفيد استمرار الماضي إلى المستقبل من مثل قوله تعالى﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾ الحجر/14، وقوله ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ يوسف/85، وقوله﴿ **وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ** ﴾ المائدة/ 13، أما المجموعة الثالثة خصها لأفعال المقاربة ويقسمها النحاة إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى كاد وأخواتها وتفيد قرب وقوع الخبر، المجموعة الثانية عسى وأخواتها وتفيد رجاء وقوع الخبر، والمجموعة الثالثة وهي طفق وأخواتها وتفيد الشروع، ويؤكد الدكتور بكري أنه لم يذكر من المجموعة الأولى سوى كاد من قوله تعالى ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾ البقرة/71؛يقول أبو حيان في تفسير الآية" ... وأما الآية فقد اختلف في زمان نفي المقاربة، والذبح، إذ المعنى: وما قاربوا ذبحها قبل ذلك، أي ما وقع

الذبح بعد أن نفى مقاربته، فالمعنى أنهم تعسروا في ذبحها بعد ذلك.."[42] ؛ وهي ههنا تفيد الماضي لفظا ومعنى، كما أنها تدل على الفعل لم يحدث بسهولة، والأمثلة كثيرة توقف عندها المؤلف متتبعا رأي النحاة والمفسرين.

وفي حديثه عن المجموعة الثانية التي تفيد الترجي والرجاء يرى صاحب الكتاب أنه لم يذكر منها في القرآن الكريم سوى عسى مقترنا خبرها بأن وهي تفيد ترجي وقوع الخبر في المستقبل القريب والبعيد مثال ذلك قوله تعالى﴿ **أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾ يوسف/21، أما لعل فهي أيضا تفيد لترجي والتوقع وهذا لا يكون إلا في المستقبل كقوله تعالى ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ طه/44، ومثلها ليت التي تفيد التمني فإن خبرها لا يكون إلا في الاستقبال من مثل قوله تعالى﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الأنعام/27، يقول الدكتور بكري أن "ليتنا نرد" لا تدل على المستقبل وكفى ولكنها تدل على مستقبل بعيد جدا، أبعد من البعيد لأنها تنطلق من زمن بعيد يدل عليه سياق الآية .

وختم المؤلف الفصل بدراسة إحصائية لهذه النواسخ مبرزا دلالتها الذاتية دون اللجوء إلى ذكر دلالتها السياقية لصعوبة تحديد مواقعها الزمنية في جدول.

3- الدلالة الزمنية الذاتية للأفعال الناقصة:

وفيه أطال الحديث عن كان ودلالتها على الأزمنة المختلفة، ثم انتقل إلى صيغة "يكون" ودلالتها الزمنية الذاتية المختلفة، وأخيرا صيغة الأمر"كن" ودلالتها الزمنية الذاتية المختلفة؛ باعتبار أن الأفعال الناقصة تفتقر إلى الحدث وتتمتع بالطاقة الزمنية، لذلك أفرد لها المؤلف فصلا يتحدث فيه عن تلويناتها الزمنية في القرآن الكريم؛ ليخلص في النهاية إلى أن كان لا تكتف بالدلالة على المراحل الزمنية الكبرى وإنما دلت كذلك على الأزمنة الاعتبارية (السياقية) التي يقتضيها الأسلوب القرآني (مستقبل الماضي)، (ماضي المستقبل)، نحو قوله تعالى﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَة ﴾ النساء/78، حيث جاءت "تكونوا " مسبوقة بأينما التي تفيد العموم وبالتالي فالفعل الناقص هنا يفيد أيضا العموم، وقوله﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الأنبياء/69 ،كن هنا جاءت دالة على الماضي لمجيئه بعد قرينة لفظية هي قلنا، وقد ساق لنا المؤلف أمثلة كثيرة تنوعت فيها الدلالة الزمنية لكان في السياق القرآني، لينتقل بعد ذلك إلى أخوات كان؛ فبدأ الحديث عن "أصبح" التي دلت على عموم الزمن كما جاءت بمعنى صار في قوله تعالى﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران/103،أي الصيرورة والتحول من حال إلى حال، كما دلت ظل على عموم الزمن في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل/58" حيث نجد أن لظل في الآية زمنين، زمنا عاما أضفاه عليها سياق الآية وأداة الظرف إذا الدالة على عموم الزمن وزمنا آخر ذاتيا هو اتصاف اسمها بمعنى خبرها طول النهار.."[43] ، بعدها ينقلنا إلى "مازال" التي جاءت دالة على الماضي أو بمعنى صار، وقد تدل على الاستقبال أيضا قوله تعالى﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ غافر/34، حيث دلت على الماضي لمجيئها في سياق قصصي [44] ،ثم ذكر لنا " مادام" التي لم تخرج عن دلالتها التي حددها النحاة وهي الاستمرار، وكان لابد من أن يختم الفصل بجداول إحصائية لا لعدد ورود هذه الصيغ في القرآن الكريم وإنما إحصاء دلالتها الزمنية الغالبة في السياق القرآني.

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع الأدوات:

قسمه أيضا إلى ثلاث فصول وأضاف فصلا رابعا منفصلا تحدث فيه عن الدلالة الزمنية في القصة القرآنية، وسنحاول في عجالة أن نجمل ما جاء به الدكتور بكري في هذه الفصول:

1- الصيغة الفعلية مع أدوات الشرط:

جمع فيه المؤلف الصيغ الفعلية مع أدوات الشرط وحصر دلالتها على المستقبل والماضي والزمن العام، والمعروف عن هذا الأسلوب أنه يشتمل على جملتين الأولى جملة الشرط والثانية جملة الجواب؛ حيث ينصرف فيه المضارع في الغالب للاستقبال، لذلك يستحسن النحاة استعمال المضارع في هذا الأسلوب للدلالة على المستقبل من مثل قوله تعالى ﴿ **فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ الفتح/16؛ أين جاء الفعلان " تطيعوا" و"وتتولوا" دالين على الاستقبال بفضل أداة الشرط "إن"، يقول أبو حيان في تفسيره الآية" فإن تطيعوا أي فيما تدعون إليه، كم توليتم من قبل: أي في زمان الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في زمن يعذبكم: يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة " [45] ، وفي قوله تعالى ﴿ **قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ** ۚ ﴾ يوسف/77 ؛ فالسياق في قصة يوسف عليه السلام يقتضي أن يكون الفعل " يسرق" للزمن الماضي وليس لغيره، حيث وقع اتهام سيدنا يوسف لأخيه بالسرقة كانت قد وقعت قبل اللفظ بالفعل " يسرق" فقد جاءت الآية بعد قوله تعالى ﴿**ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ** ﴾ يوسف م70-71، وهذا يدل على أن المراد من يسرق هو الدلالة على الماضي [46] ، أما قوله تعالى{ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ** ﴾ يونس/ 107؛ حيث جاء الفعلان " يمسسك ويردك" في زمن عام غير محدد إذ مس العباد بالخير أو بالضر أمر يقع في كل وقت [47] ، ثم تتبع المؤلف ورود الصيغ الفعلية مع باقي أدوات وأسماء الشرط كمن ولو وإما وأينما وأياما مضافة إلى يفعل.

وفي حديث المؤلف عن أدوات الشرط مع "فعل" أكد أن الأدوات التي وردت بكثرة مع هذه الصيغة تنحصر في الأداة "إن" إلا أن الدلالة الزمنية لـ "فعل" لا تتأثر بصيغتها بقدر ما تخضع للأبعاد الزمنية التي تضفيها عليها إن الشرطية أولا والسياق الذي تتحرك فيه الجملة [48] ،ثانيا يقول تعالى ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ۚ **أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ** ۚ ﴾ آل عمران/144، "إن مات" في الآية تنصرف للمستقبل، وبعد الدراسة الإحصائية التي قام بها الدكتور بكري للدلالة الزمنية لصيغتي فعل ويفعل مع أدوات الشرط المختلفة استنتج أن أدوات الشرط مع الصيغتين دلت على جميع المراحل الزمنية بخاصة المستقبل الذي لا تقل نسبته المئوية عن 60 بالمائة والزمن العام الذي تراوحت نسبته المئوية من الصفر إلى 100بالمائة [49].

2- الصيغ الفعلية مع أدوات النفي والاستفهام:

انتقل المؤلف في هذا الفصل للحديث عن الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع أدوات النفي والاستفهام وتتبع كلا منها مع الأزمنة الثلاث الماضي والحاضر والمستقبل، فـ"لم" مثلا التي تجزم المضارع وتقلبه ماضيا لم تخرج عن معناها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كما يقول المؤلف، مثال ذلك قوله تعالى ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ۚ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا** ﴾ النساء/164، ويذهب

البعض إلى أن لم قد تدل مع "يفعل" على الاستقبال وذلك لورودها في سياق يصف مشاهد الآخرة كقوله تعالى ﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ الكهف/47، وقوله ﴿ **وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ الكهف /48، يقول أبو حيان في شرح قوله تعالى ﴿**وعرضوا على ربك صفا** ﴾ "قيل وحشرناهم، وعرضوا، ووضع الكتاب، مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه؛ أي أن /عرضوا/و/حشرناهم/ و/لم نغادر/ جاءت بلفظ الماضي للدلالة على أن يوم العرض واقع لا محالة فجاءت الأفعال الدالة على الماضي تصور الأحداث وكأنها وقعت فعلا" [50].

ويذهب المؤلف إلى ما ذهب إليه أبو حيان بأن السياق القرآني هو الذي يقلب المعاني الزمنية للتراكيب كيفما كانت دلالتها الزمنية الذاتية [51]، ويواصل في ذكر المواضع التي ذكرت فيها باقي أدوات النفي، نذكر منها "لما" الشبيهة بلم في قوله تعالى﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ آل عمران/142، يرى جل المفسرين أن /لما يعلم/ أفادت نفي الفعل في الماضي إلى الوقت الحاضر، أما لن يفعل في قوله تعالى﴿ **قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ** ﴾ البقرة/80؛ فسياق الآية يدل على أن لن أزلية في نفيها للفعل باتفاق جميع المفسرين [52]، وفي حديثه عن "لا" النافية يذكر ورودها مع صيغة "يفعل" ودلالتها نفي الفعل في المستقبل، ومع"فعل" تأتي بمعنى لم، يقول تعالى﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ الكهف/69، يذهب الرازي إلى أن النفي للمستقبل بدليل أداة الشرط "إن" والفعل" ستجدني"؛ وقد جاءت الآية في سياق وعد قطعه سيدنا موسى على نفسه مع العبد الصالح على أن يكون صابرا ولا يعصى له أمرا والوعد لا يكون إلا في المستقبل [53] ، وقد تدل لا النافية مع يفعل على الزمن العام في مثل قوله تعالى﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ النور/ 36-37 .

أما "لا" مع "فعل" فلم ترد دالة على الماضي إلا في صورة واحدة وهي قوله تعالى﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ القيامة/31-32 ، وفي موضع آخر دلت على الزمن العام في قوله تعالى﴿ **لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء**﴾ النحل/ 35 ، ليختم حديثه عن أدوات النفي ودلالتها في السياق القرآني بذكر"ما" و"إن"؛ فما +فعل تأتي لمعنى نفي الماضي في كثير من الآيات كقوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ آل عمران/191، وأما "ما"+يفعل فتدل على نفي المستقبل كقوله تعالى ﴿ **وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُوَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُون**﴾ الشعراء/210 -211، وقد تدل على نفي الفعل في الزمن العام سواء ذكرت مع فعل أم يفعل، والأمثلة كثيرة ذكر بعضها الدكتور بكري وأردفها كعادته بآراء علماء التفسير، ويسري على إن النافية ما يسري على ما فهي أيضا تبقي الفعل على دلالته إلا إذا أدرجت في سياق يستوجب معه تغيير دلالتها الزمنية في مثل قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ**﴾ الأنبياء/109، جاءت نافية للمضارع دالة على الحاضر، وقوله﴿ **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا**﴾ النساء/117وهنا جاءت لنفي المضارع دالة على الزمن العام.

الصيغ الفعلية مع أدوات الاستفهام:

لقد سبق أن ذكرنا بأن المؤلف أكد في أكثر من موضع؛ بأن التركيب الفعلي مع مختلف الأدوات يصطبغ بدلالات زمنية يفرضها السياق القرآني، دون أن ينفي بأن ما أجمع عليه النحاة هو الذي يتكرر بنسب كبيرة في الخطاب القرآني؛ فأدوات الاستفهام هي الأخرى لها دلالتها الزمنية كـ"هل" مثلا يستفهم بها على المستقبل، وقد أحصى المؤلف ورودها في القرآن الكريم فوجدها دالة على الحاضر والمستقبل إذا تلتها صيغة"يفعل"، وتدل على الماضي إذا تلتها صيغة"فعل" من مثل قوله تعالى﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾ الداريات/24 -25؛ فهل ههنا دخلت على الماضي لفظا ومعنا، وفي قوله تعالى﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ الكهف/103- 104 ، جاء افعل (ننبئكم) دالا على الحاضر والمستقبل، كما أن بعض النحاة والمفسرين يذهبون إلى أن "هل" جاءت بمعنى قد في قوله تعالى ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾ الغاشية/1؛ أي قد أتاك، والفعل ماض لفظا ومعنا، وينتقل المؤلف إلى الحديث عن واحدة من أهم أدوات الاستفهام التي تكرر ورودها في القرآن الكريم مرة مع الأسماء ومرة مع الأفعال، ومن معانيها أنها جاءت للتسوية في قوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ البقرة/6، يقول الزمخشري في تفسير الهمزة" وإنما أفادت الهمزة فائدة /إن/ الشرطية، لأن كلمة/إن/ تستعمل في الأغلب في أمر مفروض مجهول الوقوع وكذلك حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتعين حصوله" [54]، وإذا تلتها لم النافية للمضارع أفادت تقرير الماضي في مثل قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**﴾ الشرح/1، وفي موضع آخر تلتها لن الدالة على الاستقبال، وهنا أيضا الجملة المنفية بعدها تحافظ على دلالتها الزمنية في قوله تعالى﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ**﴾ آل عمران/124.

أما "من" الاستفهامية فيؤكد المؤلف على أنها أكثر الأدوات ورودا قبل الفعل؛ فقد ذكرت 103مرات منها 15 تلاها الفعل الماضي ودلت على الماضي، أما المواضع التي ذكرت فيها مع الفعل المضارع فقد دلت فيها للاستقبال وفي الغالب على الزمن العام كقوله تعالى﴿ **قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ الأنبياء/59.

وبعدها ينتقل إلى "ما" الاستفهامية التي ذكرت 58مرة مع الماضي و48 مرة مع المضارع ودلت على الماضي مع الماضي وعلى الزمن المضارع مع المضارع، وقد تدل على الماضي في سياق الاستقبال إذا كانت الأحداث متعلقة بيوم القيامة كقوله تعالى﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ القصص/65، وينهي المؤلف الفصل بحديثه عن باقي أدوات الاستفهام التي لم تختلف دلالتها الزمنية عن سابقاتها وهي أين، أيان، وكيف.

3- الصيغ الفعلية مع باقي الأدوات:

أفرد فيه المؤلف الحديث عن الدلالة الزمنية للأفعال مع مختلف الأدوات التي لم يتمكن من ذكرها في الفصول السابقة، وقسمها إلى قسمين: ما هو خاص بالماضي ، وما هو خاص بالمضارع، ومنها ما هو خاص بكليهما؛ من مثل سين التنفيس التي تدل مع المضارع على الاستقبال كقوله تعالى﴿ **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** ﴾ النبأ/ 04، ويستخلص الدكتور بكري من تتبع ورود السين مع المضارع في القرآن الكريم أنها لا تدل فقط على المستقبل وإنما قد تدل أحيانا على الحاضر، وأحيانا أخرى على المستقبل القريب [55] أو البعيد، وقد تدل على الماضي إذا وردت مع المضارع في سياق قصصي في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ**﴾ يوسف/61؛

فالفعل (سنراود) دال على المستقبل بالنسبة لزمن القول، لكنه ماض بالنسبة لزمن القص، وعلى هذا تكون أيضا "سوف" التي تشبه كثيرا السين حيث يدل المضارع بعدها على الاستقبال كقوله تعالى ﴿ **قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ يوسف/98.

ومن الأدوات التي ترتبط بالمضارع أيضا نون التوكيد الخفيفة والثقيلة التي تصرف أيضا المضارع للمستقبل القريب والبعيد كقوله تعالى ﴿ **وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ يوسف/ 32،أما " قد" فهي خاصة بالماضي القريب من الحال وتفيد التحقيق والتوقع كقوله تعالى﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ**﴾ النساء/164، ويمكن أن تدل مع الماضي على المستقبل إذا وردت في أسلوب شرطي مثلا، ويرى المؤلف أن قد تصرف المضارع إلى الماضي مع تحقق وقوع الفعل في مثل قوله تعالى ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ۖ ﴾ الصف/05.

ويضيف الدكتور بكري أدوات أخرى مثل "لما" المختصة بالماضي وتقتضي وجود جملتين والفعل بعدها ماض لفظا ومعنى مثل قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا**﴾ يوسف/ 96.

-"إذ" تدخل على الماضي والمضارع؛ فهي مع الماضي دالة على الماضي القريب والبعيد مثل قوله تعالى ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ** ﴾ يوسف/ 51، وقد تدل على الاستقبال قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الأنعام/ 27، و"إذ" يفعل تدل هي أيضا على الماضي مثل قوله تعالى ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ الأنفال/09.

-"أن" الناصبة للمضارع تدخل على الماضي أيضا ويبقى دالا على الزمن الماضي، وورودها مع المضارع يجعل الصيغة دالة على المستقبل القريب والبعيد، وقد تدل على الزمن الماضي إذا تلت فعلا ماضيا قوله تعالى﴿ **فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا**﴾ الإسراء/ 103، ومثلها لا الناهية وحتى وفاء السببية والتي يخلص المضارع معها للاستقبال. وأنهى المؤلف الفصل بجدول حاول من خلاله أن يرصد التغيرات الزمنية لتلك الأدوات فوجد أن البعض منها يحافظ على دلالته في السياق القرآني بينما البعض الآخر دل على أزمنة مختلفة أخرى غير التي وضع لها.

4- الأفعال والأزمنة في القصة القرآنية:

نظرا للأهمية التي تضفيها التلوينات الدلالية لأزمنة الأفعال في السياق القصصي القرآني على الخطاب كله، رأى المؤلف ضرورة إضافة فصل رابع يخصصه للحديث عن الدلالة الزمنية للأفعال مجردة أو مسبوقة بالأدوات، و التي سبق وأن تحدث عنها في كامل كتابه، غير أنه كثيرا ما أشار إلى أن خروج الصيغ الفعلية عن دلالتها الزمنية إلى أزمنة أخرى يقتضيها المقام يكثر خاصة في السياق القصصي، ولقد تمكن بقراءة المتأمل والمتذوق لجماليات السرد القرآني وبديع نظمه أن يدرس هذه التلوينات الزمنية والتي تأخذ أبعادا فنية لا يمكننا أن نراها في فن قصصي آخر؛ وعليه توجهت الدراسة إلى تسليط الضوء على ما أسماه بالزمن السياقي الخارجي والزمن السياقي الداخلي الذي يسري في الصيغ المفردة والمركبة، وما له من أثر في توجيه المعنى الزمني

للصيغة، وهذا العمل كان في الأصل مقالا نشر في مجلة المنهل الشهرية السعودية العدد515 ماي 1992م، ولأهميته أدرج في هذا المؤلف.

فصيغة "فعل" مثلا التي للماضي ذكرت كثيرا لتصف مشاهد من وقائع يوم القيامة؛ فهي إذن أفعال وردت بصيغة الماضي لتعبر عن مستقبل هو في حكم الماضي المتحقق لا محالة، يقول تعالى ﴿ **وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**﴾ ابراهيم/21؛ حيث أن الأفعال المذكورة في الآية جاءت بصيغة الماضي لكن السياق ينقلها إلى المستقبل البعيد وهو يوم القيامة، وكأن المشهد يحدث أمام أعيننا؛ إذ أن التداخل الموجود بين الماضي والحاضر والمستقبل يجعل الخطاب القرآني خطابا مميزا يتجاوز الإطار الزمني، فنحن إذن كما يقول المؤلف أمام حالة خاصة تتداخل فيها الأزمنة وتزول بينها الجدران الفاصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، إنها أوضاع دلالية مختلفة تلبسها الصيغة حسب مواقعها في السياق.

والأمر ذاته بالنسبة للفعل المضارع الذي ينقله السياق إلى المستقبل البعيد، وقد يكون واقعا في الماضي، فالتلوينات الزمنية للأفعال لا تتحدد بالصيغة وإنما تتحدد بالسياق الذي ترد فيه؛ فإذا كانت القصة تجمع بين مختلف الصيغ فإننا ننظر إلى الترتيب الكرونولوجي لأحداث القصة لنحكم على زمن الفعل، وقد وقف المؤلف عند قصة يوسف عليه السلام أين نجد الأحداث تتعاقب في فترات زمنية مختلفة تجعل القارئ يتتبع هذا الجمال المتميز في لغة السرد الحاملة لأفعال تتجاوز مواقعها الزمنية الإطار التاريخي الذي يحد القصة، وتتمرد على الترتيب المنطقي للأفعال، كذلك إذا ما انتقلنا إلى سورة الكهف نجد الأفعال المضارعة تنقل لنا الماضي إلى الحاضر أو الحاضر يعبر عن الماضي، والأمر بالنسبة للمتأمل في هذه الأفعال سيان لأنه في كل الأحوال يشاهد هذه الأحداث وكأنها تقع أمامه.

وبهذا يخلص الدكتور بكري إلى مجموعة من النتائج أهمها أن تتبع الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم تفضي بنا إلى الكشف عن "زمن موضوعي منطقي خارجي يسير في خط واحد وإيحاء، فهو زمن غير قابل للارتداد، وزمن داخلي لا يخضع لمنطق الأحداث، أو لا يسري وفق النظام الزمني المعهود إذ لا يمكن له أن يتداخل أو يتقاطع مع أزمنة أخرى كما يمكنه أن يتقلص أو يمتد، حسب مقتضى الحال" [56].

ونختم نحن هذه القراءة المتواضعة لهذا المؤلف بكل ما حواه من أفكار ودراسة دقيقة متمعنة لباحث دفعه حبه لكتاب الله إلى تحمل مشقة البحث والتحليل للأفعال الواردة في الخطاب القرآني، متتبعا تبدلاتها الزمنية مفردة ومركبة وفي سياقات مختلفة، إلى القول بأن هذه الدراسة الجريئة فتحت شهية الكثير من الباحثين ودفعت بهم للوقوف عند موضوع الزمن في القرآن الكريم؛ فألفت لذلك كتب ومقالات عديدة، بالإضافة إلى عدد كبير من البحوث الأكاديمية لا يسعنا في هذا المقام أن نذكرها، جعلت من كتاب " الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه" لصاحبه الدكتور بكري عبد الكريم مصدرا أساسيا لها.

هوامش البحث:

1-مقدمة كتاب الزمن في القرآن الكريم – دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه - د/بكري عبد الكريم- دار الكتاب الحديث ط 2- 2001- ص 05.
2- نفسه.
3- نفسه ص 06-07.
4- ينظر مقدمة تفسير البحر المحيط لأبي حيان النحوي- ط 02- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1983- مقدمة تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري- الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط.1
5- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج 1ص 228.
6- نفسه ج4 ص 385-386.
7- نفسه ج 7 ص 99.
8- الكشاف للزمخشري ج 3 ص 21.
9- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج4 ص 378.
10- نفسه ج2 ص 49-50.
11- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص42.
12- نفسه ص 45.
13- ينظر بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية- مكتبة القاهرة- مصر 1972- ج1 ص 51.
14- نفسه ج7 ص 253.
15- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي- دار الكتب العملية بيروت 1983-ج2 ص200.
16- ينظر الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص 51.
17- ينظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج2 ص228.
18- ينظر الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص52..
19- الكتاب لسيبويه- تحقيق عبد السلام هارون – دار الكتاب للطباعة والنشر 1968- ج1 ص12.
20- شرح الكافية في النحو لرضي الدين محمد الاستراباذي- دار الكتب العلمية بيروت- ج2 ص224.
21- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس -مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت 1963- ص85.
22- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص 95.
23- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج4 ص 517.
24- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص 103.
25- نفسه ص108.
26- الكشاف للزمخشري ج 3 ص 551.
27- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج1 ص 307.
28- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج4 ص378.
29- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص145.
30- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج4 ص492.
31- ينظر الكشاف للزمخشري ج 3 ص247- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج7 ص210.
32- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص 156.
33- الكشاف للزمخشري ج 3 ص254.
34- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج5 ص178.
35- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص168.
36- نفسه ص169.
37- ينظر الكشاف للزمخشري ج 1 ص366- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج2 ص186.
38- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص179.
39- نفسه ص184.
40- الكشاف للزمخشري ج 2 ص485.
41- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج1ص258.
42- شرح الكافية في النحو لرضي الدين محمد الاستراباذي ج2 ص293.

43- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص.251

44- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج4 ص.486

45- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص.264

46- ينظر الكشاف للزمخشري ج 2 ص256.

47- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص.276

48- نفسه ص.296

49- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج 6 ص.134

50- الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص.303

51- ينظر التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي- ط 3- دار إحياء التراث العربي بيروت- ج3 ص143- البحر المحيط لأبي حيان النحوي ج1 ص.289

52- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ج22 ص152-.153

53- هامش الكشاف للزمخشري ج1 ص.153

54- ينظر الزمن في القرآن الكريم للدكتور بكري عبد الكريم ص.334

55- نفسه ص.377

56- نفسه ص 388.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش

1- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي- دار الكتب العملية بيروت 1983.د.ت

2- البحر المحيط لأبي حيان النحوي- ط 02- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1983.

3- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية- مكتبة القاهرة- مصر 1972.د.ت

4- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي- ط 3- دار إحياء التراث العربي بيروت-

5- شرح الكافية في النحو لرضي الدين محمد الاستراباذي- دار الكتب العلمية بيروت-د.ت

6- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس -مؤسسة بدران للطباعة والنشر بيروت 1963.

7- الكتاب لسيبويه- تحقيق عبد السلام هارون – دار الكتاب للطباعة والنشر 1968.

8- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري- الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ط1.

9- الزمن في القرآن الكريم- دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه- للدكتور بكري عبد الكريم – دار الكتاب الحديث ط2 2001.